

ملء الزمان

يقول الكتاب في قصة الميلاد "ولكن لما جاء ملء الزمان، أرسل الله ابنه مولودًا من امرأة تحت الناموس" (غل 4:4).

ولا شك أن انتظار (ملء الزمان) هو درس روحي عميق نستفيد في حياتنا، عندما نتأمل قصة التجسد، وكيف حدد الله ميعادها...

ملء الزمان

عندما أخطأ آدم وحواء وعدهما الله بالخلاص، فأنلًا لهما إن نسل المرأة سيسحق رأس الحية. وأنجبت المرأة قايين وهابيل وشيث... ولم يحدث أن أحدًا منهم سحق رأس الحية. بل ظلت الحية رافعة رأسها في خطر، حتى كادت تهلك العالم كله في أيام نوح...

– فإلى متى يارب ننتظر؟ ومتى تحقق وعدهم بالخلاص؟

متى نغذ الرب وعده بالخلاص؟ نغذه بعد آلاف السنين...

والحكمة في ذلك سنوضحها فيما بعد، ولكننا نقول الآن "إن يومًا عند الله كألف سنة، وألف سنة عنده كيوم واحد" (2بط 3: 8) كل تلك الآلاف عند الله كأنها لحظة أو طرفة عين...

أما البشرية فإنها شغوفة بأن تنهي كل شئ بسرعة...

حُمى الإسراع هي حُمى تناب البشر جميعًا. تريد التعجل في كل شئ، ولا تستطيع صبرًا على شئ. والناس يجرون وراء حاجاتهم جريًا بدون تفكير في غالبية الأوقات.

محبة العجلة والإسراع:

+ وعد الرب أبانا إبراهيم بأن يكون له نسل، مثل نجوم السماء ورمل البحر، وانتظر إبراهيم طويلًا ولم يعط نسلًا كنجوم السماء... ولا حتى ابنًا واحدًا... ماذا يارب، هل نسيت مواعيدك؟

كلا انني لم أنس، ولكنك أنت الذي تريد أن تتعجل الأمور قبل مواعيدها...

" تقو وليتشدد قلبك، وانتظر الرب". وعاد إبراهيم، فانتظر مدة أطول، ولكن النسل لم يعط له... فبدأ اليأس يتطرق إلى قلبه، ودفعه اليأس إلى أن يدخل على جاريتيه هاجر، وينجب منها إبنًا... ولكن مشيئة الله ظلت كما هي "بسارة يدعى لك نسل" (تك 17: 9) وعاد إبراهيم فانتظر سنوات أخرى...

وحتى بعد ولادة إسحق، مرت عليه عشرات السنوات، وما زال الوعد الخاص بنجوم السماء ورمل البحر ينتظر التحقيق

... وعاد إبراهيم فاتخذ قطورة زوجة له. فولدت له زمران ويقشان ومدان ومديان ويشباق وشوفا (تك 25: 1، 2) ... لم تكن مشيئة الرب في كل هؤلاء، فأعطاهم إبراهيم عطايا وصرفهم عن إسحق ابنه... وانتظر حتى يحقق الرب وعده، في ملء الزمان... بطريقته الهادئة، التي لا تعجل فيها...

+ إن اليأس من وعود الله ومواعيده يدعو إلى التعجل. والعجلة تدعو إلى استخدام الطرق البشرية. والطرق البشرية تنافى مع طرق الله الصالحة.

وسنأخذ مثلًا لذلك رفقة زوجة اسحق:

قال الرب لرفقة وهي بعد حبلى "في بطنك أمتان، ومن أحشائك يفترق شعبان: شعب يقوى على شعب، وكبير يُستعبد لصغير" (تك 25: 23). والكبير هو عيسو، يستعبد للصغير الذي هو يعقوب.

كيف هذا يارب؟ كيف يستعبد الكبير للصغير؟ طالما هو البكر فهو السيد؟ فهل سيفقد البكورية؟ وكيف يكون ذلك؟

يجيب الرب: اتركوا هذه الأمور لي، سأعالجها بطريقتي الخاصة، الهادئة الصالحة. ومرت الأيام والسنون... أين يارب وعدهم؟ يجب: انتظروا، سيتم كل شئ في حينه، في ملء الزمان. ثم أتى اليوم الذي طلب فيه اسحق صيدا من ابنه عيسو، لكي يباركه. وهنا لم تستطع رفقة أن تحتمل، فقدمت حيلة بشرية لابنها يعقوب ليأخذ بها البركة عن طريق خداعه لأبيه...

لماذا أسرع رفقة؟ ولماذا لم تنتظر الرب؟ ولماذا لجأت إلى الطرق البشرية الخاطئة التي لا تتفق مع مشيئة الله الصالحة؟ انها حُمى الإسراع وعدم انتظار ملء الزمان...

وماذا كانت النتيجة؟ كانت سنوات طويلة من المتاعب والآلام، قضاها يعقوب شريدًا هاربًا وخائفًا من أخيه، ومتعبًا من معاملة لابان السيئة وخداعه له. وقد سجل يعقوب ملخص حياته هذه بقوله "أيام سني غربتي... قليلة وردية" (تك 47: 9).

حنة أيضًا كانت تطلب ابناً من الرب، وكانت ضررتها تغيظها غيظًا. وبدا كما لو أن الرب كان يسمع، ويظل ساكنًا!

ومرت الأيام وحنة ما تزال عاقراً، وهكذا صار سنة بعد سنة، كلما سعدت إلى بيت الرب أن (ضررتها فنّته) كانت تغيظها. فبكت ولم تأكل (1صم 1: 7). والرب يسمع ويرى، ومع ذلك يبدو ساكنًا لا يعمل شيئًا، إلى متى يارب لا تستجيب؟ إلى متى تحتل بكاء حنة من أغاظه ضررتها؟

يجيب الرب: انتظروا ملء الزمان. لا يتعبكم طول أناتي، بل الذي يتعبكم هو حُمي الإسراع. انتظروا، فلانتظار فائدته..

وكان من فائدة الانتظار أن حنة نذرت نذرًا أن تعطي ابنها للرب كل أيام حياته. وقد كان، وولد لها صموئيل.

ولد صموئيل في ملء الزمان، متأخرًا جدًا. ولكنه كان أفضل من جميع أولاد فنّته، ضرة أمه التي كانت تغيظها... من هم أولاد فنّته؟ أننا لا نعرف شيئًا عنهم ولا حتى عن أسمائهم. أما صموئيل فيعرفه الجميع.

ليتنا إذن في معاملاتنا للرب، نصبر، ومنتظر ملء الزمان.

إن الضيقات تحتاج إلى طول أناة، حتى يرفعها الرب عنا في الحين الحسن، في ملء الزمان، بعد أن نكون قد أخذنا بركتها، ولكننا لا نفعل هكذا بل نضيق بسرعة، ونصرخ "لماذا يارب تركتنا؟ لماذا لم تسمع الصلاة؟"...

قد يكون لك مريض تطلب شفاءه، وتلج في ذلك. وقد يبطئ الرب في الاستجابة حتى يأتي ملء الزمان الذي يحدده للمريض حسب حكمته في اختيار الأوقات. أما أنت فتضجر وتصيح في ضجرك "لماذا يارب لا تسمع؟ إذن ما فائدة الصلاة؟ وما فائدة سر مسحة المرضى!!" وتتشاجر مع الله... ليس لأن الله قد أخطأ في حَقِّك، وإنما بسبب محبتك للإسراع وعدم انتظارك ملء الزمان. ملء الزمان، هو الوقت المناسب:

بنفس حكمة ملء الزمان، انتظر الرب حتى يعد كل شيء لتجسده، ثم بعد ذلك نزل الينا، في الوقت المناسب...

لم يكن هناك وقت مناسب أكثر من موعد مجيئه بالذات، كان كل شيء ممهدًا، وكل شيء معدًا. لذلك كان عمل مجيئه قويًا، وكان تقبل الناس له سريعًا..

كانت النبوءات قد اكتملت، وكذلك الرموز. وأعد الرب فهم الناس لها خلال مدى طويل، حتى يستطيعوا أن يستوعبوا عندما يتم المكتوب ويتحقق الرمز..

خذوا لذلك مثالًا هو فكرة الذبيحة، وفكرة الفداء:

كيف تدرج الله بهم من الذبيحة التي غطى آدم وحواء عريهما بجلدها، إلى ذبيحة هابيل التي "من أبقار غنمه ومن سمانها"، إلى فكرة ذبيحة الابن الوحيد التي تمثلت في اسحق، إلى شروط الذبيحة التي بلا عيب، التي تحمل خطية غيرها وتموت عنه... وتركهم آلفًا من السنين حتى احتضنوا الفكرة واستوعبوا وصارت من بديهياتهم..

إن الله طريقته هادئة وطويلة المدى، ولكنها منتجة ونافعة.

صدقوني، لو أن الله صبر كل تلك الآلاف من السنين حتى يجد العذراء الطاهرة التي تستحق أن يولد منها الرب. والتي تحتل أن يولد منها الرب، لكان هذا وحده سببًا كافيًا.

وكان ينبغي أن ينتظر حتى يوجد الرجل البار الذي تعيش تلك العذراء في كنفه، ويحفظها في عفتها، ويحتل أن تحبل من الروح القدس، ويقبل الفكرة، ويحمي الفتاة، ويعيش كأنه أب لابنها في نظر المجتمع.

وكان ينبغي الانتظار حتى يولد الملاك الذي يعد الطريق قدام ملك الملوك، أعني يوحنا المعمدان ذا الشخصية الجبارة والتأثير العميق. الذي يستطيع أن يقول "في وسطكم قائم الذي لستم تعرفونه، هو الذي يأتي بعدي، الذي صار قدامي، الذي لست بمستحق أن أحل سيور حدائه" (يو 1: 27) "ينبغي أن ذاك يزيد، وإنني أنا أنقص الذي يأتي من فوق، هو فوق الجميع. الذي يأتي من السماء هو فوق الجميع..." (يو 3: 20، 31).

لعل أحدًا يسأل: ولماذا لم يوجد الله كل هؤلاء منذ زمن؟

نجيب بأن الله لا يرغم البشر على البر والقداسة. أنه ينتظر حتى توجد الأنية المستعدة بكامل ارادتها...

هناك أسباب عديدة جدًا توضح شيئًا من حكمة الرب في الانتظار حتى يأتي ملء الزمان. أوضحها هو إعداد العالم كله وتهيئته لقبول

وأخيرًا، عندما كمل كل شيء "لما جاء ملء الزمان، أرسل الله ابنه مولودًا من امرأة تحت الناموس، ليفتدي الذين تحت الناموس، لننال التبني" (غل 4: 4، 5).